مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ١

ثنائية الماضي والحاضر في شعر الأبيوردي (ت ٥٠٧هـ)

م.م. تمارة ناثر شريف

مدرّس مساعد – جامعة الموصل / كلية التربية للبنات

tamara.nathir@uomosul.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الماضي والحاضر ، التحول الزمني ، التصوير الشعري ، الحاضر المأزوم ، الماضي الزاهر.

كيفية اقتباس البحث

شريف ، تمارة ناثر، ثنائية الماضي والحاضر في شعر الأبيوردي (ت ٥٠٧هـ)،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، كانون الثاني ٢٠٢٦،المجلد:١٦ ،العدد:١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The duality of past and present in the poetry of al-Abiwardi (d. 507 AH)

Asst. Lect. Tamara Nathir Sharif
University of Mosul – College of Education for Women

Keywords : Past and Present, Temporal Transformation, Poetic Imagery, Troubled Present, Glorious Past.

How To Cite This Article
Sharif, Tamara Nathir , The duality of past and present in the poetry of al-Abiwardi (d. 507 AH),Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, January 2026,Volume:16,Issue 1.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This study investigates the duality of time (past and present) as a significant literary phenomenon. It commences with a religious and philosophical introduction that underscores the human inability to overcome the power of time, drawing upon myths and classical philosophy, which oscillated between a cyclical conception of time—allowing for the possibility of return—and a linear conception—emphasizing the impossibility of recurrence. The research further examines the manifestation of this duality in Arabic literature, demonstrating how poets articulated the tragedy of temporal passage and the loss of youth.

The duality is distinctly embodied in the poetry of Abī al-Wardī through two principal dimensions:

1-The motif of ruins and nostalgia for the time of union:

Abī al-Wardī's deep attachment to the idealized past is reflected in his poetic engagement with ruins and the recollection of beloved dwellings. The ruins function as a symbol of loss and transformation, while his poetic voice oscillates between lamenting a radiant past and

mourning a painful present. Through the use of metaphor and personification, he conveys the tension between a troubled present and a joyous past.

2-Old age versus youth:

The poet presents old age as a metaphor for the burdens of the present, characterized by estrangement from women and deprivation of youthful pleasures. In contrast, youth is depicted as a phase replete with vitality, strength, and delight, whereas old age epitomizes decline and weakness. For Abī al-Wardī, the past embodies health and beauty, while the present signifies frailty and incapacity.

The corpus of texts analyzed reveals a profound dichotomy between two temporal stages: the radiant past (youth, union, and joy) and the tragic present (old age, separation, and estrangement).

الملخص

تناول هذا البحث ثنائية الزمن (الماضي والحاضر) بوصفها ظاهرة ادبية كبرى، بدايته مقدمة دينية وفلسفية تبين عجز الإنسان أمام الزمن، مستعين بالأساطير والفلسفة القديمة التي انقسمت بين رؤية دائرية للزمن إمكانية العودة ورؤية خطية استحالة التكرار، عالج البحث انعكاس هذه الثنائية في الأدب العربي، مبرزاً كيف عبر الشعراء عن مأساة مرور الزمن وفقدان الشباب. تتجسد الثنائية عند الابيوردي في محورين:

١ – لوحة الطلل والحنين إلى زمن التواصل:

يظهر تعلق الأبيوردي بالماضي الجميل من خلال وقوفه على الأطلال وتذكر ديار الأحبة. يرمز الطلل للفقد والتغير، وصوته الشعري يتأرجح بين بكاء على الماضي المشرق ورثاء للحاضر المؤلم. ويستعين الابيوردي بالاستعارة والتشخيص ليعكس الصراع بين حاضر مأزوم وماضٍ سعيد.

٢ – الشيب والشباب:

صور الشاعر الشيب كرمز للحاضر السلبي، حيث انفضاض النساء عنه وحرمانه من متع الشباب. جاعلاً من الشباب زمناً مفعماً بالنضارة والقوة والفرح، فيما يمثل الشيب الانكسار والضعف. فالماضي لديه هو زمن العافية والجمال، أما الحاضر فهو زمن الوهن والعجز.

تكشف النصوص عن مفارقة حادة بين مرحلتين: الماضي الزاهر (الشباب والوصال والبهجة) والحاضر المأساوي (الشيب، الفراق، الاغتراب)

المقدمة

يحيى الإنسان في ظاهرة من ظواهر الطبيعة التي تسمى بالزمن الذي يسير باتجاه مستقيم ويتسم باستحالة عودته إلى نقطة الصفر التي ابتدأ منها[١]. وبالتالي يؤثر سلباً في الذات الإنسانية؛ كونه الظاهرة التي لا يستطيع الإنسان مواجهتها[٢]. والباحث في الموروث القديم يجد أن الرسالات السماوية تحدثت عن الزمن مبينةً حقيقة وجود الإنسان وجوداً زمانياً مفصحة عن السير الخطي للزمن، كما أكدت في الوقت نفسه أن الوصول إلى الحياة الأبدية بنعيمها أو بؤسها يتم عن طريق الحياة الدنيا كما في قوله تعالى: چ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑچ[٣].

وجاءت معالجة الزمن في الأساطير بمحاولات الإنسان المجهضة للتخلص من أُطر الزمان المتناهي رسخت هذه الفكرة أسطورة كلكامش ومحاولاته الفاشلة في الحصول على نبتة الخلود[٤]. كما جسدت أسطورة (سيبيل كومو) فكرة التغير السلبي الذي يحدثه الزمن في الإنسان، حيث خيرتها الآلهة بأن تعيش سنين طويلة فكان لها ما أرادت؛ ولكن أدركتها الشيخوخة فأصابها العجز، فأخذت ترغب بالموت[٥]. فقد أظهرت الأساطير أن الآلهة هم "الذين يعيشون إلى الأبد أما أبناء البشر فأيامهم معدودات وكل ما عملوا هراء وعبث"[٦]. يتبين لنا من خلال ما ذُكر موقف الأساطير من الزمن والتي أظهرت عجز الإنسان أمامه مجسدةً ذلك عبر المحاولات المجهضة للحصول على الحياة الأبدية.

أما في الفلسفة فقد انقسم الفلاسفة القدماء في موقفهم من الزمن إلى مذهبين سمي المذهب الأول بالفلسفة الثابتة والثاني بالفلسفة المتغيرة، وجاء الزمن وفق منظور أصحاب المذهب الأول دائري بمعنى التمكن من العودة إلى الماضي "فكما هبطت الروح من عالمها الرفيع إلى عالم المادة الزائل فإن الروح تطهر نفسها لتعود من حيث أتت"[٧].

والذي ولد هذه الفكرة "حركة تعاقب الليل والنهار كما أن الإحساس بتناهي الحياة دفع قسم من فلاسفة اليونان إلى القول: كل شيء عائد الى أصله..... تبعاً لقانون الزمن (دورته الأبدية)"[٨].

وعرف أصحاب هذا المذهب بتفضيلهم للزمن الحاضر فهذا سقراط يرى أن السعادة "ليست بعيدة عنا لكنها في السرور الحالي الوقتي أي في حركة الشعور الحاضر، فلا نهتمن بالمستقبل لكونه ليس لنا"[٩]. ويوافقه الرأي أوغسطين الذي رأى الحاضر هو المعاش الذي يستلزم أن ينال الأهمية كون الماضي أنقض والمستقبل لم يأتِ بعد[١٠]. أما المذهب الثاني فيرى أصحابه استحالة عودة الزمن إلى نقطة البداية يقول هيرقليطس "أن الكل يتحرك يسيل"[١١].

أما الرواقيون(*) لم يعيروا للموت والتغيير اهتماماً إذ إن الموت غير مزعج "طالما كنا موجودين فإنه غير موجود وحينما يحل فإننا لا نكون موجودين"(١٢).

فذهبوا إلى تفضيل الحاضر على وفق منظورهم حياة الفرد هي الحياة سيعيشها فقط، لذلك لم يقلقهم تغير الزمن(١٣).

كما عبر الأدباء وعلى مر العصور عن موقفهم من الزمن فقد كشفت الأجناس الأدبية عن محاولات الإنسان الفاشلة في مواجهة التغير الذي يسببه الزمن، ففي رواية (صورة دوريان جراي) نجد التأثير السلبي على بطل الرواية حيث تحولت صورته إلى عجوز قبيح(١٤). وقارئ شعر الأبيوردي يجد أنه يحن للماضي وطالما أنه أحب الماضي وأحن إليه فهذا يعني أن هناك تضاد بين ماضي الشاعر وحاضره، وقد ظهر هذا من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول

لوحة الطلل والحنين إلى زمن التواصل

يعد الطلل* لوحة فنية تصدرت النصوص الشعرية في شعرنا القديم، ولفت هذا الأمر أنظار النقاد منذ عهد محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ)(١٥)، حتى يومنا هذا إذ يقف الشاعر مخاطباً الطلل، وقفة ذهول وتعجب من قوة قلبت الربع من مكان حي إلى مكان قفر يخلو من الحياة لم يبقَ منه سوى رسم يشير إلى أيام ولحظات سعيدة قضاها الشاعر في هذا المكان نقشت في ذاكرة الشاعر، فعند ارتحاله ومعاودته التذكر يقف باكياً من فعل الزمن، والوقوف على الأطلال والبكاء وسيلة يلجأ لها الشاعر للتعبير عن عواطفه(١٦).

كما حظيت الأماكن المفارقة باهتمام مماثل للطل فمن طبيعة النفس البشرية رفض البعد عن الوطن والمكان الذي تربطها به علاقة وطيدة(١٧).

إذ يعد الحنين إلى الأماكن وتذكر الديار من أعذب ما جرى على لسان العرب؛ كونه تعبير عن العواطف الإنسانية النبيلة والمشاعر الصادقة، فضلاً عن كونه ظاهرة بارزة في الشعر العربي(١٨)، وكثير ما وقف الأبيوردي على الطلل وأثارت ذكرى الأماكن المفارقة حنينه معبرةً عن حاضره المتأزم وماضيه السعيد.

يطالعنا الشاعر بنموذج يفصح من خلاله عن التضاد بين الماضي والحاضر فيقول(١٩):

وأزورُ إذ ظَعَـــــنَ الخَلـــــيطُ منـــــازلاً

نَحلَـــت بهـــن –كمـــا نَحلَـــتُ– الأرســـمُ*

كـــم وقفـــةٍ مَـــيلاء فـــي أثنائهـــا

شـــوقٌ إلـــى طلـــلٍ برامَـــةَ يُـــرْزِمُ

عَطَفَـــت ركائِبُنـــا إلـــى عرصـــاتهِ

وعلـــى الجُنَينَـــةِ نَهجُهُـــنّ المُعْلَـــمُ

وَذَكَـــرتُ عَصـــراً أسْـــرَعَتْ خُطُواتُـــهُ

والعـــيشُ أخضَـــرُ والحـــوادثُ نُـــومُ

تظهر الأبيات مدى تعلق الشاعر بمكان محبوبته سواءً في حالة الوصال أو الترحال، فالشاعر متعلق بالماضي، ولفظة (الطلل) كفيلة بتجسيد وفاء الشاعر واستمراره على الذكرى على الرغم من رحيل المحبوبة وتخييم الموت على المكان.

صورة جميلة رسمها الشاعر لحياته السعيدة والتي لونها باللون الأخضر الرامز للصفاء والأمان والحياة الهنيئة التي عاشها الشاعر، كما أن رغبة الأبيوردي بعدم انقضاء ذلك العصر يوحي إلى الماضي الجميل واللحظات السعيدة لدرجة أن الشاعر يرغب باستمرارها إلا أن الزمن كان سريعاً في خطواته ،والمعلوم أن اللحظات السعيدة تمر سريعاً. الأمر الذي جعل الشاعر يتمنى لو أنه يودع شبابه فداء للعصر المشرق في إشارة إلى جمال الماضي وتأزم الحاضر، كشف عن ذلك استحضار الشاعر لصورة ديار المحبوبة التي خيم عليها الموت بعد رحيلها والتي عبرت عن مأساة الشاعر من حركة الزمن شأنه شأن مؤسس شعر الطلل أمرؤ القيس[٢٠].

وفي نص آخر يفصح الشاعر عن عجزه أمام الزمن فهو يقول[٢١]:

معاهـــدها والعهـــدُ يُنســـى ويُـــذْكَرُ

علـــى عَـــذَباتِ الجِـــزعِ تَخفَـــى وتَظْهَـــرُ

وأشـــلاء دارٍ بالمُحَصِّـــب مـــن منـــىً

وقفـــت بهـــا والأرحبيـــة تهـــدرُ

أُســـائلها والعـــين شَـــكرى مـــن البكـــا

وهـــن نحـــيلات المعـــالمِ دُثَّـــرُ

واســـتخبرُ الأطـــلال عـــن ســـاكني الحمـــى

فـــلا الـــدمع يَشـــفيني ولا الربـــعُ يخْبِـــرُ

كـــــأن ديـــــار العامريـــــةِ بـــــاللوى

صـــــحائِفُ تَطويهـــــا اللَّيـــــالي وتَنشَـــــرُ

فهـــل عبـــرةٌ تقضـــي المعاهـــد حقهـــا

كمـــــا يَســـــتَهلُ اللؤلـــــؤ المُتَحَـــــدِّرُ

يظهر النص إحساس الشاعر بالتفجع والأسى، ففعل الزمن في ديار الحبيبة ومشاهد الفناء، وظهور بقايا من آثار الديار، تجسد جميعها إحساس الشاعر بالعجز أمام فعل الزمن؛ كون الطلل مظهر آخر للزمن لا يأبه لمشاعر الإنسان، (أُسائلها والعينُ شكرى من البكا) اذ افادت لفظة (شكرى) امتلاء العين بالدمع، كما أن ظاهرة بكاء الطل ومسألته شائعة في الشعر، وطالما بكى الأبيوردي الطل فحاضره مأزوم، فنراه يسأل الطل عن ساكنيه، فلا الطلل يجيبه، ولا يخفف الدمع ألمه. مشبهاً تلك الديار بالصحائف التي تنثرها الليالي بعد طولها وبهذا يتجلى التضاد بين زمنين زمن الماضي السعيد وزمن الحاضر المزري.

وفي موضع آخر يطالعنا الشاعر بانموذج مبيناً من خلاله الماضي الجميل بوجود أبنة السعدي والحاضر المتأزم برحيلها، فيقول[٢٢]:

يـــا عَبرَتـــي هـــذه الأطـــلالُ والـــدمنُ

فَمـــا انتظـــارك؟ سِـــيلي، فهـــيَ لـــي وطـــنُ

لَـــم ألـــقَ قبـــل أبنـــةِ الســـعدِيّ لـــي سَـــكَناً

يَكـــادُ يلفِـــظُ روحـــي بَعـــدَهُ البـــدنُ

تَلَفَّـــت القَلـــبُ نحـــو الرَّكـــبِ حـــين ثَنَـــى

عـــنِ التأمـــلِ طَرفِـــي دمعـــيَ الهـــينُ

غـــدوا ومـــا فلـــقَ الإصـــباحَ فالقـــهُ

فاللَّيـــلُ للنـــاسِ غيـــري بعـــدهُم ســـكنُ

فـــي القـــربِ والبعـــدِ مـــالي مِـــنهُمُ فـــرجٌ

فالوجـــدُ إن نزلـــوا والشـــوقُ إن ظعنـــوا

يتحدث الشاعر عن بقايا ديار أبنة السعدي مجسداً من خلال شعره الأس المهيمن عليه وعبر عن ذلك بأسلوب نداء موجه الى الدمع (يا عبرتي) والذي أشار إلى تعلق الشاعر

بالماضي الجميل. (فما انتظارك؟) وباستفهام تعجبي يتعجب الشاعر من دموعه الثابتة، (سيلي)، إذ أسند الشاعر فعل الأمر للمخاطب ثم نفى عن نفسه سكون الروح داخل الجسد قبل (أبنة السعدي) في إشارة إلى انتصار الزمن عليه، مبيناً استجابة الدمع لأمره (تلفت القلب نحو الركب حين ثنى) عندما جعل القلب ينظر لجانب الركب ومنع كثرة دموعه العين من النظر، كما أظهر التضاد (الإصباح والليل) معاناة الشاعر، كيف ينام الناس ليلاً وهو ساهرٌ، مبيناً حاله بقرب المحبوبة أو بعدها، فالماضي جميل بالنسبة للشاعر والحاضر متأزم.

ويلقانا الشاعر بنموذج آخر يصف فيه أطلال محبوبته متكئاً على عناصر الطبيعة راسماً صورة استعارية عمادها التشخيص قائلاً[٢٣]:

وبـــدا لنـــا طَلَـــلٌ لربعـــك خاشـــعٌ

تـــــزداد بُهَجَتُـــــه علـــــى الأقـــــواءِ

وأَبَـــي الـــدِّيارِ لقـــد مَشـــى فيهـــا البلَـــى

وعفـــــت معالِمُهَـــــا ســـــوى أشـــــلاءُ

يَبكـــي الغَمـــامُ بهـــا ويبســـمُ روضـــها

لا زلـــــن بـــــين تبسُّـــــمٍ وبكـــــاء

يظهر النص المتقدم شقاء ومعاناة الشاعر، فالطلل وفق الرؤية الثقافية يعني الموت، وتظهر الأبيات التقليدية التي استهلها الشاعر بتوافقه مع المؤسسة الشعرية السابقة له وإن استحضاره لمظهر من مظاهر الزمن (الطلل) يفصح عن الوعي المأسوي المتفجر عنده جراء عدائية الزمن معضداً هذا بحديثه عن الديار، فقد وصف الشاعر أطلال ديار محبوبته بصورة استعارية حيث استعار البكاء للغمام وهذا شائع في الشعر العربي[٢٤]. وقدم استعارة مكنية (ويبسم روضها) معتمد على عناصر الطبيعة في تشكيل صورته، سينزل المطر من الغمام وستحي الأرض وترتدي الحاضر، إذ أن الطلل يشير إلى الماضي العامر وفي اللحظة الحاضرة إلى الهلاك، فالشاعر هنا يحاول تجاوز ما أثاره الطلل من تفجع وشعور مأساوي عبر ردة فعله المضاد له. إن (التبسم والبكاء) صفات إنسانية أضفاها الشاعر على الطبيعة حيث أسند فعل التبسم للروض وفعل البكاء للغمام، إذ أسهمت هذه الأفعال (المستقبلية) في إعطاء الصورة الحيوية والاستمرار.

إذاً علاقة الأبيوردي مع الطلل هي علاقة منبثقة من ارتباط الشاعر بالماضي الجميل وإشارة إلى تأزم الحاضر[٢٥]:

نظَــرتُ خِــلالَ الرَّكــبِ والمــزنُ هطــالُ
إلــى الجــزعِ هــل تَــروى بواديــهِ أطــلالُ
وأخفيــتُ مــا بــي مــن هــوىً، ومَطِيُّنــا
يلــــبسُ أُخــــراهُ بــــأولاهُ إعجــــالُ
وقلــتُ لَهُــم: جُــرتُم فميلــوا إلــى اللــوى
ومــا القــومُ -لــولا حُــبُّ علــوةَ- ضــلالُ
فحُييــتَ ربعــاً كــادَ يَضــحَكُ رَسْــمُهُ
ونَــمَّ بمــا أُخفــي مــن الوجــدِ إعــوالُ
وقــد عَلمــوا أنــي أجــرتُ ركــابهُم
فقــالوا وهــم ممــا يعــانونَ عُــذالُ
أراكَ الحمــــــى وادي الأراكِ فذرتــــــهُ
وضــل بنــا ممــا نوافقــك الضــالُ
وقــد نَفَعَتنــي وقفــةٌ فــي ظِلالِــه
فَلَــمْ أُرعِهــم سَــمعي ولا ضَــرَّ مــا قــالوا
تَعَثَّــرُ فــي أذيــالهنَّ خمائــلٌ
إذا انسَــحَبت فيــه مــن الــريحِ أذيــالُ

قد يكون الشاعر أراد بهطول المزن (دموعه) عند ارتحاله والنظر الى آثار ديار محبوبته، والذي يعضد رؤيتنا قوله (وأخفيت ما بي من هوى)، فالشاعر لا يجاهر بحبه لأسباب اجتماعية، كذلك لا يجاهر بحزنه أمام الراحلة (الركب)، فنراه يتسأل هل تستطيع قطرة المطر تلك أن تروي أطلال الديار، ثم يفصح عن سرعة ناقته فمن سرعتها تلحق المتأخرة عنها، قد يكون أنه أراد بالناقة هنا الزمن المسرع وصيرورته السلبية، ثم يفصح عن جماعته المرتحلين وكيف مالوا عن الطريق فأمرهم بأن يسلكوا طريق ديار علوة بدلالة فعل الأمر (فميلوا)، وجاء بالثنائية الضدية (يضحك وأعوال) ليستعير بالضحك عن أطلال الديار الواضحة بعد المطر

وبالأعوال عن اللحظة الحاضرة، فحاضر الشاعر متأزم، ثم يكشف الشاعر عن موقف قومه (العذال) فهم غير راضين عن توجه الشاعر بدلالة (وضل بنا مما نوافقك الضال).

ويبرز الحديث عن الأماكن المفارقة بقول الشاعر[٢٦]:

أَيَـــا عَقِـــدات الرَّمـــل مـــن أرض كـــوفنٍ

سَـــــقاكنَّ رجَّـــــافُ العشِّـــــي هتـــــونُ

أُذيـــلُ لـــذكراكن دمعِـــي، وفـــي الحشَـــى

هـــــوىً لســـــيالاتٍ بِكُـــــنَّ مصـــــونُ

إذا حـــــدث الركبـــــان عـــــنكن هيجـــــوا

تبـــــاريحَ وجـــــدٍ، والحـــــديث شـــــجونُ

فَجُـــنَّ بِكُـــنَّ اللـــبُّ منـــي علـــى النـــوى

ومـــــا بـــــي لـــــولا حـــــبكنَّ جنـــــونُ

فهي ليست أطلالاً ولكن الشاعر قضى فيها أوقات طيبة، لذا نراه يتحدث بلغة انفعالية من خلال أسلوب الدعاء بالسقي، إذ أن الدعاء بالسقي في الثقافة العربية لا يحدث إلا للمقرب نفسياً والمحبب عند الشاعر، وتظل ذكرى تلك الأماكن مبكيةً وشاغلةً له، ومما يزيده فجيعة حديث الركبان عن تلك المناطق كونهم يهيجون أشواقه متكئاً على المثل العربي "وللحديث[*] شجون". واتكاء الشاعر على هذا المثل جعل الأحاديث بصورة مطلقة ذات طابع سلبي فهي مهيجة للأحزان، والشاعر يغالي في حبه لتلك الأماكن، إذ يصف لبه بالجنون جراء البعد عن تلك الأماكن فهو ليس مجنوناً أصلاً يتبلور هذا بحضور الشطر الثاني من البيت الرابع (وما بي لولا حبكنَّ جنون).

وفي موضع آخر يكشف الأبيوردي عن حاضر سلبي وماضٍ سعيد، فهو يقول[٢٧]:

النـاسُ بالعيدِ مسرورون غير فتـىً ... يَشُـفّهُ فـي إسـارِ الغُربَـةِ الحـزنُ

وبـينَ جنبيـهِ هَـمٌ لا يبـوحُ بـهِ ... ففرحـةُ المـرءِ حيـث الأهـلُ والـوطنُ

ولا اغتـرابَ علينـا، فـالبلاد لنـا ... فُتوحُهـا، وبنـا يُسـتَرحَبُ العطـنُ

إذ لـم تكـن قبلنـا بالمجـدِ حاليـةً ... ولا لهـا منظـرٌ مـن بعـدنا حسـنُ

والأرض تُزهـى بنـا أطرافُهـا فمتـى ... نَمِـل إلـى الشـام يحسـدُها بِنـا الـيمنُ

وتلـــــك دَارٌ ورِثناهـــــا معاويـــــةً ... لكـــن كـــوفنَ* ألقانـــا بهـــا الـــزمنُ

أصـــبو إليهـــا وأشـــواقي تبـــرح بـــي ... وتمنـــع العـــين أن يعتادهـــا الوســـنُ

فليـــت شـــعري، ولَيـــت غيـــر نافِعـــةٍ ... هـــل يَبْـــدُوَنَّ لِعَينـــي مُنجِـــدٍ حَضَـــنُ؟

وهـــل أُنـــيخُ بِبـــابِ القَصـــرِ ناجيـــةً ... مناخُهـــا فيـــه مـــن صَـــوبِ الحَيـــا قَمِـــنُ؟

هنالِـكَ الهَضَـباتُ الحمـرُ لـو هتفـت ... بالميـــتِ راجـــع فيهـــا روحَـــه البَـــدَنُ

يكشف سياق النص عن حاضر الأبيوردي المتأزم، إذ ينتاب الشاعر حزناً لبعده عن وطنه، كيف لا وهو بعيد عن أهله وأحبابه مفصحاً عن غربته، واصفاً أيامه الماضية بالحسن (أصبو إليها وأشواقي تبرح بي)، إن شدة شوق الشاعر تفصح عن ماضيه السعيد وحاضره المتأزم بدلالة قوله (وتمنع العين أن يعتادها الوسن).

صور الشاعر معاناته بابتعاد النوم عن عينه وهو يقطن في مكانٍ بعيدٍ عن موطنه، محققاً ذلك عبر صورة استعارية حيث استعار للهضبات الحمر صفة الهتاف استعارة مكنية صور بها الشاعر شدة شوقه لنجد متمنياً وصوله إليها، مفصحاً عن عدم جدوى تمنيه، فنراه يستفهم بأداة الاستفهام (هل) سيقف بباب القصر حيث الهضبات الهاتفة والكفيلة بصوتها أن ترد الميت للحياة. استحضر الأبيوردي الديار الغائبة والحاضرة داخله، فجاءت الأبيات مليئة بالعاطفة والشوق.

وإن صورة الحاضر السلبي انعكست على نفسية الشاعر وإبله نلمح هذا المعنى في قوله[٢٨]:

فارقـــت بغـــدادَ* والقلـــب بهـــا ... كلـــف، لا فـــارقتهن النســـوعُ*

وبنـــا شـــوق إليهـــا، وبهـــا ... مثلـــه، لا أجـــدبت منهـــا الربـــوعُ

وغـــدت تمـــري بهـــا أحلافهـــا ... ســـحبُ تشـــرق مـــنهن الضـــروعُ

ولـــئن غبنـــا فكـــم مـــن ظـــاعنٍ ... ولـــه بعـــد تنائيـــه رجـــوعُ

إنمـــا نحـــن بـــدورٌ، وكـــذا ... شـــيمةُ البـــدر مغيـــب وطلـــوعُ

يشير النص إلى تأزم حاضر الشاعر، إذ يتحدث الأبيوردي عن فراق بغداد بصيغة المفرد اولاً(فارقتُ بغداد) ثم الجمع بدلالة ضمير المتكلمين (نا) (وبنا شوق إليها) وهذا يسمى الالتفات وهو اسلوب بلاغي يعني نقل الكلام من اسلوب مخاطبة الى اخر بطريقة متعمدة او عن طريق الخطأ، مبيناً أداة النقل (الإبل)؛ إلا أن الشاعر جعل الإبل تعاني معاناته وتحزن لفراق بغداد، إن الإبل المتعبة جاءت تجسيداً لنوازع الشاعر، فحاضر الشاعر مأساوي يكمن في

مغادرته بغداد، وهذا بدوره يشير إلى الماضي الجميل الذي عاشه الشاعر في بغداد، و يشير البيت الخامس إلى رؤية الشاعر الإيجابية وعلى الرغم من واقعه المتأزم إلا أن الشاعر لم يفقد الأمل، فهو يرى التغيير واصفاً ذاته وإبله بالبدور لما لها من صفات الغياب والحضور، إذ يخلق الشاعر مستقبلاً متوافقاً مع رغباته ليواجه بذلك حاضره المأزوم.

وفي نص آخر يكشف الشاعر مأساته وهو يكابد الحنين إلى مكان يألفه، إذ يقول[٢٩]:

أهاجَكَ شَوقٌ بعدَما هجعَ الركبُ

وأُدمُ المطايا في أزِمتها تحبُو

فأذريتَ دَمعاً ما يجفُّ غروبهُ

وقلَّ غناءً عنكَ وإبلهُ السكبُ

تحِنُّ حنينَ النيبِ شوقاً إلى الحمى

ومطلبُهُ من سفحِ كاظمةٍ صعبُ

رويدكَ إن القلبَ لجَّ بِهِ الهوى

وطالَ التجني من أُميمةَ والعتبُ

يشير البيت الأول إلى معاناة الشاعر جراء الشوق المبرح به فقد أصابه الأرق والسهر، فنراه يبكي شوقاً وهو يعلم أن البكاء لا يجدي نفعاً، وعبر أسلوب تجريدي تحن نفسه حنين (النيب) الناقة الحسنة وهي أكثر النوق حنيناً. علماً أن الوصول إلى الديار المحببة صعب أو شبه مستحيل، فنراه يهدأ من روعه، ولكن لا فائدة؛ لأن الحبيبة (أُميمة) تجنت عليه.

يعيش الأبيوردي حاضراً حزيناً فقد أبعده الزمن عن (نجدٍ)، إذ يقول[٣٠]:

من لي بنجدٍ وأيامٍ بها سلفت ... ما طال عهدٌ بماضيها سوى حججِ

لو بيع عصر شبابٍ ينقضي لفتىً ... (لا بتيع عصر الصبا واللهو بالمُهجِ)

للهِ ظمياءُ والأيامُ مُسعدةٌ ... بالوصلِ منها بلا منعٍ ولا حرجِ

القد أملودُ بانٍ، والنَّقا عَجُزٌ ... والوجهُ بدرٌ، وذاك الشعر كا (لسَّبَجِ)*

دع يا هذيم فمنذ فارقت جيرتها ... ما كنت من بعدها يوماً بمبتهجِ

تغزل الشاعر بمحبوبته (ظمياء) مستعيراً بعناصر الطبيعة فقد شبه وجه محبوبته بالبدر من شدة بياضه، وطولها بالغصن الناعم ، بدلالة لفظة (أملودُ)، إذ "ينتقي الشاعر تشبيهات الوجه

يستعيرها من الطبيعة السماوية كالبدر"[٣١]. ليقدم صورة محبوبته بأبهى منظر، وإن استدعاء الشاعر للمرأة ظمياء جاء ليتجاوز أسى اللحظة الحاضرة، فحاضر الشاعر متأزم بعد فراق نجد وانقضاء أيامها الطيبة، فكما أسلفنا أن المرأة تمثل الماضي الجميل في المكان الجميل بالنسبة للشاعر.

ويستمر الأبيوردي في الإفصاح عن حنينه لنجد، بقوله[٣٢]:

إن أخلَفَ الوَعدَ حيٌّ يَظعنُونَ غدا ... وفي لِيَ الطَّرفُ من دَمعِي بما وعَدا

فلا ترى لُؤلُؤاً من مبسمٍ نسَقاً ... حتى تَرى لُؤلُؤاً من مَدمَعٍ بدَداً

يا سعدُ إن فراقاً كنتَ تحذرُهُ ... دنا لِينزعَ من أحشائِكَ الكَبِدا

هلُمَّ نبكِ على نجدٍ وساكنهِ ... فلن ترى بعدَ نجدٍ عِيشةً رَغَدا

يشير البيت الأول أن الشاعر تنبأ بالمستقبل فوظف أسلوب النداء ليخبر بقرب وقوع الفراق وتأثيره السلبي، إذ يخاطب الشاعر (سعد) طالباً منه البكاء على نجدٍ ومن يسكنها، وهنا يبرز التضاد بين الماضي السعيد قبل فراق نجد والحاضر المتأزم لدنو الفراق، فتظهر عدائية الزمن الحاضر مع الأبيوردي بدلالة قوله (هلم نبكِ على نجدٍ وساكنه فلن ترى بعد نجدٍ عيشةً رغدا) فماضي الشاعر في نجد أجمل من حاضره الذي أدنى فراقه عن نجد، إذ يلجأ الشاعر للبكاء تنفيساً عن حاضره المأزوم، فهو ينفي أن يحيى هنيئاً بعد فراق موطنه (نجدٍ)، وفي النص إشارة لهيمنة حس الاستسلام، كما أوضحت القافية الممدودة عن أسى وتفجع الشاعر كون الامتداد الصوتي هو تجسيد لآهات الشاعر[٣٣].

الحنين إلى زمن التواصل

يعد الحنين إلى الزمن الماضي ظاهرة بارزة في الشعر العربي[٣٤]. ويعرف الحنين بأنه سلوك غير واعٍ يصيب الشاعر، كما يعرف هذا السلوك بأنه اشتياق لزمن التواصل وذكرياته السالفة، والأمر الذي يدفع الشاعر إلى استدعاء زمن الماضي هو الحاضر السيء، والمكابدة التي يتحملها الشاعر جراء رحيل الأحبة[٣٥]، فضلاً عن أن "للماضي نكهة خاصة عند الإنسان لاسيما ذلك الذي أثقلت أحزان الحاضر كاهله وأخذ الاغتراب بخناقه، فالماضي على وفق هذا التصور مرفأ يرتاده الشاعر فراراً من الألم والتماساً للراحة وإن كانت في الحلم والخيال"[٣٦]. وقارئ ديوان الأبيوردي يجد حنين الشاعر إلى ماضي التواصل مع الحبيبة، وخلانه، إذ يقول[٣٧]:

وليلـــةٍ مـــن ليـــالي الـــدهر صـــالحةٍ

فَهُـــنَّ وَهْـــيَ الشِّـــفاه اللُّعـــسُ والـــرَّتْمُ

جعلـــت يُمنـــاي فيهـــا طـــوق غانيـــةٍ

حُـــورٌ مَـــدامِعُها فـــي كشـــحِها هَضَـــمُ

فـــارفَضَّ شـــملُ الكَـــرى، والطَّـــلُّ يخضِـــلُنا

سَـــقيطُهُ، وثغـــورُ الصـــبحِ تبتســـمُ

نمشـــي بمُنعَـــرَجِ الـــوادي علـــى وجَـــلٍ

والنـــومُ مـــن أعـــيُنِ الواشـــينَ ينـــتَقِمُ

ثـــم افتَرقنـــا ويُـــردي فـــي معاطِفِـــهِ

تُقـــىً يعـــانِقُ فيـــه العِفَّـــةَ الكـــرمُ

يتذكر ليلة جميلة فليس كل ليالي الدهر صالحة، إذ تشير الأبيات أعلاه إلى ماضي الشاعر السعيد وحاضره المتأزم معضداً ذلك باستحضاره لأحداث تلك الليلة، فقد جمع الشاعر بين المفردات التي تجمل لوحته (اللعس والرثم والنوم) مبيناً تساقط الطل على محبوبته في أواخر الليل وقدوم زمن الفراق (الصبح).

يستعرض الأبيوردي مشهد غزلياً واصفاً جمال محبوبته (فهن وهي الشفاه اللعس والرثم)، فمن شدة نورها تضيء ليل الشاعر المعتم، ثم يتحدث عن لحظاته السعيدة بقوله (نمشي بمنعرج الوادي على وجلٍ) مفصحاً عن إحساسهم بالخوف أثناء سيرهم في الوادي، ثم نراه يفصح عن عفته وطهره في لحظات الفراق، إذاً إن استحضار الشاعر للفعل الماضي (افترقنا) يعني عجزه أمام الزمن مفصحاً عن أساه فكان الزمن قبل الفراق، زمن سعيد بالنسبة للشاعر تلاه زمن الفراق.

وفي موضع آخر يفصح الشاعر عن حاضره المتأزم بعد فراق (أُميمة)، فيقول[٣٨]:

خطـــرت لـــذكرك يـــا أُميمـــة خطـــرةٌ

بالقلـــب تجلـــب عبـــرة المشـــتاقِ

وتـــذود عـــن قلبـــي ســـواك كمـــا أبـــى

دمعـــي جـــواز النـــوم بالآمـــاقِ

لـــم يبـــقِ منـــي الحـــب غيـــر حُشاشـــةٍ

تشـــكو الصـــبابة فـــاذهبي بالبـــاقِي

إن حنين الشاعر إلى ماضي التواصل مع الحبيبة (أُميمة) يفصح عن حاضر متأزم، ففعل التذكر في قوله (خطرت لذكرك) ما هو إلا محاولة من الشاعر للتخلص من مأساة الحاضر، إلا أن هذا الفعل زاد من مأساته، فالشوق لها أبكى الشاعر وأبعد النوم عن عينه. فنراه يذكر اسمها لغاية وليس اعتباطاً وعلى وفق منظوره أن محبوبته واحدة (أُميمة) لا بديل عنها، فيبكي لفقدانها وفقدان متعته معها، فأصبح حاله بعد فراقها كحال المحتضر،الذي يعضد رؤيتنا هذه ،انه في موضع آخر يكرر اشتياقه للماضي الجميل متغنياً به، فيقول(٣٩):

ويعتـــادني ذكـــرى العقيـــق وأهلـــهِ بحيـــث الحمـــام الـــورق شـــاجٍ هـــديلها

تنـــوحُ وتبكـــي فـــوق أفنـــانِ أيكـــةٍ فـــداهُنَّ مـــن أرضِ العـــراقِ نخيلهـــا

ولـــولا تبـــاريح الصـــبابة لـــم أُبـــل بكاهـــا ولا أذرى دمـــوعي عويلُهـــا

إن فعل التذكر ما هو إلا محاولة من الشاعر للتخلص من تأزم الحاضر، فالحاضر يثير الأسى والحزن في نفس الشاعر، ويكشف هذا عن ماضٍ جميل انقضى وانقضت أيامه فنراه متشوق لتلك الأيام بدلالة الأفعال المضارعة (يعتادني وتنوح وتبكي)، وفي شعر الأبيوردي هذا تناص مع المجنون، إذ يقول المجنون(٤٠):

ألا يـــا حمامـــات العـــراقِ أعِننـــي علـــى شـــجني وأبكـــين مثـــل بكائيـــا

لكن الفرق بين شاعرنا ومجنون ليلى، أن حنين الحمام يهيج شاعرنا فيبكيه، في حين أن المجنون هو من يعلم الحمام البكاء.

وفي نص اخر يلجأ الشاعر الى الارتداد للزمن الماضي في اشارة الى حاضر الشاعر المتأزم ،اذ يقول(٤١):

رَنـــا ونـــاظِرُهُ بالسِّـــحْرِ مُكتَحِـــلُ أغَـنُّ يُمْتـارُ مِـن ألحاظِـهِ الغَـزَلُ

*****

يَمشي كما لاعَبَتْ ريحُ الصَّبا غُصُناً ظلّـتْ تَجـورُ بـهِ طَـوراً وتعتَـدِلُ

ذو وَجْنَـةٍ إنْ جَنَتْ عَينُ الرّقيبِ بها وَرْدَ الحَيـاءِ كَسـاها وَرْسَـهُ الوَجَـلُ

كالشّمسِ إنْ غابَ عنا فهْيَ طالِعَةٌ وإنْ أطَـلَّ عَلَينـا غالَهـا الطَّفَـلُ

نخْشى عُيونَ العِدا يَعتادُها شَوَسٌ تكادُ مِنْ وَقَداتِ الحِقْدِ تَشتَعِلُ
إذا انتَضَلْنا أحاديثَ الهَوى عَلِقَتْ بنَظْرَةٍ تَلِدُ البَغْضاءَ تَنتَضِلُ
واهاً لعَصْرٍ يُعَنّينا تَذَكُّرُهُ مَضى وفي الخَطوِ من أيّامِهِ عَجَلُ
بمَنزِلٍ حَلَّ فيه الغَيْثُ حُبْوَتَهُ حتى استَهَلَّ عليهِ عارِضٌ هَطِلُ
أهدَى لنا صِحّةً تَقوى النُّفوسُ بِها نَسيمُهُ وأثارَتْ ضَعْفَهُ العِلَلُ

يظهر النص تحسر الشاعر على الزمن المسرع بخطواته (الماضي)، حيث ربط الشاعر الماضي السعيد بالمرأة الجميلة ، مجسدا خوفه من عيون الرقباء، فالماضي الجميل منسجم مع طبيعة نفس الشاعر المتعلقة بالسعادة والراحة.

إن استحضار الشاعر لملمح من ملامح الماضي (المرأة) ،وسيلة للتقوي على اللحظة الحاضرة ، فنراه يتعلق بالنسائم القادمة من ديار المحبوبة ،فجاء النص مجسدا المفارقة الحادة بين الحاضر والماضي .

ويكرر الشاعر تعلقه بزمن التواصل ، زمن الذكريات ،اذ يقول[٤٢]:

وأشْتاقُ أيّامَ العَقيقِ وأنْثَني بأربَعَةٍ مِنْ ذِكْرِهِنّ سِجامِ
وهلْ أتناسى العَيْشَ غَضّاً كأنّهُ أُعيرَ اخضِراراً في عِذارِ غُلامِ
بأرْضٍ كأنّ الرّوْضَ في جَنَباتِها يجُرُّ ذُيولَ العَصْبِ فوقَ أكامِ
إذا صَفَحَتْ غُدْرانَهُ الرّيحُ خِلْتَها تُدَرِّجُ أثْراً في غِرارِ حُسامِ
ونامَ حَوالَيْها العَرارُ كأنّها تُديرُ على النُّوارِ كأْسَ مُدامِ
سَبَقْنا بِها رَيْبَ الزّمانِ إلى المُنى وقَدْ لَقِحَتْ أسْماعُنا بمَلامِ
ومَنْ أرْيَحيّاتي إذا اقْتادَني الهَوى أفُضُّ وإنْ ساءَ العَذولُ لِجامي
وما زالَتِ الأيّامُ تُغْري بِنا النّوى وتَسْحَبُ ذَيْلَيْ شِرَّةٍ وعُرامِ
أراها على سُعْدى غَيارى كأنّما بِها مابِنا من صَبْوَةٍ وغَرامِ
فَيا لَيْتَها إذا جاذَبَتْني وِصالَها تَرَكْنَ هَواها أو حَمَلْنَ سَقامي

يعيش الابيوردي حاضراً مزرياً بدلالة ارتداده الى الزمن الماضي الذي يبدو رقيقاً.

ويدرك الشاعر حال الزمن المتغير ، الذي يفرق الأحبة ، فالشاعر متخوف من تقلبات الزمن ولحظته الفاصلة، لينصرف بعدها الى المعاناة والحزن فنراه يشتاق لزمن مضى بملامحه ، فنراه باكيا لانقضاء زمن الوصال وتذكر ايامه .

المبحث الثاني

الشيب والشباب

شكلت هذه الثنائية ظاهرة بارزة في الشعر العربي لتأثيرها على ذات الشاعر وما يحيط بها من أشياء[٤٣]، فالشباب زمن الحيوية والنضارة، والمتمثل بالقوة ويفتقر إلى الثبات والشاعر مدرك لحالة التغير والصيرورة الملازمة للإنسان منذ الولادة وحتى النهاية، وبالتالي انتقاله إلى مرحلة الشيب الأمر الذي زعزع ذات الشاعر وأشعرها بالتغير السلبي[٤٤].

عانى الشعراء من حركة الزمن السلبية، والأبيوردي شأنه شأن سابقيه من الشعراء، عبر عن مأساته من نزول الشيب الذي عد سبباً لنفور الغانيات عنه، وبالتالي فرضت هذه المرحلة سلوكيات معينة، فنراه في مواضع كثيرة يحن لزمن الشباب والإمكانيات واستيائه من الشيب والعجز، وبالتالي جاء الماضي وفق منظور الشاعر إيجابي بخلاف حاضره السلبي.

فنراه يقول[٤٥]:

صـــدت أُميمـــة حـــين لاح بمفرقـــي	شـــيبٌ يبـــرح بالمحـــب الوامـــقِ
لا تعرضـــي عنـــي فأنـــتِ جنيتـــهِ	وهـــواكِ قنـــع بالمشـــيب مفـــارقي
ولقـد خلعـتُ عليـكِ مـا استحسـنته	وهـــو الشـــبابُ وذاك جهـــد العاشـــقِ
وتركتنـــي أرعـــى النجـــوم بنـــاظرٍ	يشـــكو الغـــرام إلـــي فـــؤادٍ خـــافقِ
فسـمحت حتـى بالحشاشـةِ فـي الهـوى	وبخلـــتِ حتـــى بالخيـــالِ الطـــارقِ

انعكست الصورة السلبية للزمن الحاضر على نفسية الشاعر، إذ يشير النص إلى صدود المحبوبة عن الشاعر عندما لاح الشيب بمفرقه، فحاضر الشاعر المتمثل بالشيب متأزم بخلاف ماضيه (الشباب)، وهنا تتجلى المفارقة الحادة بين ما كان عليه الشاعر وما آل إليه، إذ ربط الأبيوردي بين الشيب وصدود المحبوبة مصوراً أحاسيسه وانفعالاته، فنراه يطلب من محبوبته البقاء؛ لأنه قدم لها في الماضي الحب والشباب.

وفي موضع آخر يشكو الشاعر من حاضره، فيقول[٤٦]:

سحبَ الشيب بِفَوْدِي ذيلهُ ... وتجافت عنهُ رباتُ الكِلَل

ولقد كان خصاصُ الخدرِ بي ... يسألُ البيضَ رِقاعاً من مُقَل

فَطَوى بُردَ شبابي زمنٌ ... بزَّ عُودي ماءهُ حتى ذبل

واشتعال الهمَّ في قلبي علا ... بقناعِ الشيبِ رأسي فاشتَعَل

إن شكوى الشاعر من حاضره تعني أن ماضيه أجمل، إذ أفصح الشاعر عن حاضره المتأزم بظهور الشيب وتأثيره السلبي عليه، فجيوش الشيب حرمت الشاعر من الحب والهوى؛ لانصراف النساء عنه، وهنا تتجلى المفارقة بين ماضي الشاعر الفعال بتهافت النساء عليه، وبين حاضره المزري وصد النساء عنه، فنراه يفصح عن التأثير السلبي لحركة الزمن التي أنقلته من مرحلة الشباب إلى مرحلة الشيب، فالزمان سلبه نضارته (واشتعال الهم في قلبي علا – بقناع الشيب رأسي فاشتعل) وزاد تفجعه فغزا الشيب رأسه.

ويطالعنا الشاعر بنموذج آخر مبيناً سلبية الحاضر، بقوله[٤٧]:

والمرءُ لا يروقُهُ طلوعُهُ ... ويجتويهِ والشَّبابُ يُشتَهى

فبعده الشيبُ وفيه ملبسٌ ... والشيبُ ليس بعده إلا الرّدى

وكلٌ ما ساقَ الهلاكُ نحوهُ ... فهوَ لديهِ كالهلاكِ مُجتَوى

والشيب لما نُشرت أفوافُهُ ... طويتُ أحشائي على جمر الغضى

وإنْ أظلَّ صبحُهُ فودي فما ... فارقَني ليلُ الشباب عن قلى

من طبيعة النفس البشرية حب الشباب وبغض الشيب، فالشيب بعده الضعف والموت، وكل ما يجر الإنسان إلى الهلاك، فعندما ظهر الشيب في رأس الأبيوردي (طويت أحشائي على جمر الغضا) أخذت أحشائه تلتهب، فهو لم يفارق الشباب برغبته أو حباً في الشيب، فالشاعر مدرك أن الإنسان في تغير، وهنا يتجلى التضاد بين ماضي الشاعر وحاضره، فحاضره وفق سياق النص مزري فنفس الشاعر ملكومة بزوال مرحلة الشباب ونزول المشيب، شأنه شأن جميع الناس، وبأسلوب مجازي صور الشاعر الشيب باشتعال النار، ومصوراً الصباح بالشيب المنتشر.

وتتكرر شكوى الشاعر من حاضره المزري وتأثيره السلبي في علاقته مع النساء، إذ يقول[٤٨]:

فما بالها ترمي إليَّ بنظرةٍ ... تغازلها البغضاء وهي تريبُ

كأني ابتدعت الشيب أو ليس في الورى ... ذوائب في أطرافهن مشيبُ

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ١

صورة يجسم الشاعر من خلالها التأثير السلبي للشيب في نفوس النساء، فالشاعر متعجب من نظرات الغيد الحسان التي تنكر عليه زوال الشباب، فنظراتهم أشعرت الأبيوردي بأنه هو من ابتدع الشيب أو أن الدنيا لا تملك سوى ذوائبه. وهذا ما زعزع ذات الشاعر وأشعرها بالمفارقة الحادة بين ماضيها وحاضرها.

وفي موضع آخر ربط الشاعر المرأة بالشباب، فنجده دائم التحسر على شبابه، إذ يقول(٤٩):

واهـــاً لأيـــامي بأكنـــاف اللـــوى ... والـــدهر طلـــق المجتلـــى رطـــب الثـــرى

إذ الشـــبابُ الغـــض ينـــدى ظلـــه ... وصـــوتي يعـــذرني فيهـــا الصـــبا

ولمتـــــي داجيـــــة، إذا بـــــدت ... ســـدت خصـــاص الخـــدر أحـــداق المهـــا

ثـــم انقضـــت أزمانـــه حميـــدةً ... ومـــن يرجـــي عـــودةً لمـــا مضـــى

فـــلا الصـــبا يرجـــع إذ تصـــرمت ... أيامـــــه، ولا عشـــــيات الحمـــــى

ولـــي حنـــينٌ لـــم تســـعه أضـــلُعي ... إلـــى اللـــوى يـــذكي بتـــاريخ الجـــوى

وبـــين جنبـــي هـــوىً أُســـرُهُ ... ولوعـــةٌ تســـكن ألـــواذ الحشـــى

يـــا حبـــذا عصـــر اللـــوى وأهلـــه ... حيـــث ظبـــاء الإنـــسِ تحميهـــا الظبـــا

فـــذاك دهـــرٌ لـــم أجـــد بـــأدمعي ... داميـــةً حتـــى تـــولى وانقضـــى

إن حنين الشاعر إلى الماضي (زمن التواصل) لا يكون إلا حينما يكون الحاضر مزري، والماضي أنقى وأصفى، فيتحسر الشاعر على الزمن الذي انقضى حميداً دون عودة، إذ سوّغ له ذلك الزمن التصابي ولاسيما أن الشاعر في ريعان شبابه مقبل على الحياة، إلا أن الشاعر مدرك باستحالة عودة ذلك الزمن، فنراه يتلهى بالحنين والذكرى.

ويطالعنا الشاعر بنموذج آخر يفصح من خلاله عن ماضيه السعيد وحاضره المتأزم، فنراه يقول(٥٠):

سَـــقى اللهُ يومـــاً قَصَّـــرَ اللهـــوُ طُولـــه

وظلـــــت خياشـــــيمُ الأبـــــارِيق تَرعـــــفُ

بـــروضٍ تمشـــى بـــين أزهـــارِهِ الصَّـــبا

فتَحسَـــبُها مـــذعورةً حـــين ترجـــفُ

وقـــد مزجـــت ظميـــاءُ بـــالريقِ راحهـــا

فلـــم أدرِ مـــن أي المـــدامينِ أرشـــفُ

وقلـــتُ لهـــا شـــيمي لِحاظَـــكِ، وأرفُقـــي

بلبـــــي، وخلـــــي البابليـــــة تعنـــــفُ

ربط الأبيوردي (ظمياء) بالماضي الجميل فنراه يدعو بالسقيا، فعلى وفق رؤية الشاعر أيامه السعيدة كانت قصيرة بدلالة قوله (سعى الله يوماً قَصَّرَ اللهو طوله)، والمعروف أن لحظات السعادة تمر سريعاً، في إشارة إلى تأزم حاضره، ثم يسترسل الشاعر في وصفه لريق ظمياء، ولذته تجعل الشاعر متحيراً في أمره، طالباً منها الرفق به فعيونها تسحر قلبه.

بأسلوب استعاري يقارن الأبيوردي بين الماضي والحاضر، اذ يقول[٥١]:

وتـــذَكُّري زَمَـــنَ العُـــذَيْبِ يَشِـــفُني والوَجْـــدُ مَمْنُـــوٌّ بـــهِ المُتَـــذَكِّرُ

إذْ لِمّتـــي سَـحْماءُ مَـدَّ علـى التُّقـى أظْلالَهـــا وَرَقُ الشّـــبابِ الأخضَـــرُ

عقد الشاعر مقارنة بين (الماضي والحاضر) من خلال الثنائية الضدية (الشيب والشباب) مشبها الشباب بالشجر الأخضر ومعبراً عنه بلفظة (العذيب).

إذ يشير النص إلى حاضر متأزم الأمر الذي دفع الشاعر إلى الهروب منه عن طريق فعل التذكر (تذكري) مبينا ضعفه فالشوق والحزن كفيل بإضعاف المتذكر ونحله.

بأسلوب بلاغي استعار الأبيوردي لحاله صورة الاشجار، مبينا ما يصيبها من تقلبات، مستحضرا اللون الاخضر ورابطاً بينه وبين زمن الشباب، مقدماً صورة مفعمة بالحياة، بأسلوب غير مباشر ربط الشاعر الشيب وضعفه باللحظة الحاضرة، فجاءت الصورة مفعمة بالحزن.

الخاتمة

تتأسس تجربة الأبيوردي على ثنائية ضدية واضحة بين الماضي والحاضر. فالماضي عنده ملاذٌ نفسي ورمزي، يستحضره عبر صور الطلل، وذكريات الحب، وأيام الشباب؛ اما الحاضر عنده يظهر مثقلاً بالخذلان والفقد. هذه المفارقة الزمنية جعلت شعره ساحةً لصراع داخلي دائم بين الحنين والخيبة، بين الأمل والواقع. اذ برز البعد الإنساني العميق لشعره، إذ يعكس قلق الإنسان الأزلي أمام الزمن الذي يمضي بلا رجعة، فلا يترك له سوى الذكرى والحنين.

–وشكل الآخر (الطبيعة) مضاداً للأنا الشاعرة، فشكل البرق علاقة متضادة مع الأنا الشاعرة؛ كون لمعانه يثير الشجن ويذكره بما نسى أو تناسى.

-ومثلت الصحراء الواسعة المفتقرة لسبل العيش صورة مرعبة للأنا، ومثل الليل الحزن والألم، وكان الغراب بصوته مقلقاً للشاعر منذراً بالفراق.

-إن استحضار الأبيوردي للوحة الطلل وتصويره لديار المحبوبة عكس مأساته وتفجعه من حركة الزمن، إذ جسد الطلل ماضي الشاعر الجميل وحاضره المتأزم.

-وقد استطاع الأبيوردي التعبير عن مأساته ومعاناته من حركة الزمن عن طريق توظيف بعض الأساليب البلاغية كالنداء والاستفهام.

-إن فعل التذكر والحنين لزمن التواصل هو محاولة من الشاعر للتخلص من تأزم حاضره.

-وظف الأبيوردي ثنائية (الشيب والشباب) والتي مثلت حركة الزمن السلبية، وعلى الرغم من إدراك الشاعر لفعل الصيرورة، إلا أن هذا التغيير زعزع ذات الشاعرة وأشعرها بالتغيير السلبي.

-مثل الشيب الزمن السلبي الذي فرض على الشاعر سلوكيات معينة، وكان الشيب سبباً لنفور الغانيات عنه، بينما مثل الشباب زمناً إيجابياً وذلك لإتاحته للشاعر الإمكانيات القابلة للتحقيق.

الهوامش

(١) ينظر: الموت في الفكر الغربي، جاك شورون: ١٦.

(٢) ينظر: تاريخ الفكر الفلسفي: أرسطو والمدارس المتأخرة : ١٠٦-١٠٩.

(٣) سورة الزلزلة، الآية ٧.

(٤) ينظر: ملحمة كلكامش، ترجمة: طه باقر: ١١٣.

(5) British and American poets, Chaucer to the present, W. Jackson Bate: 725.

نقلاً من موقف الشعراء في عصر ما قبل الإسلام تجاه الزمن بين التحدي والاستسلام، أطروحة دكتوراه، حسن صالح ، اشراف د. عمر محمد الطالب ، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٥: ١٠.

(٦) جدلية الحياة والموت، نصوص ومقاربات، حيدر الجراح، مجلة النبأ، ع٣٥، ١٤٢٠: ٣٣.

(٧) الفلسفة اليونانية، عبد الجليل كاظم الوالي: ٢١٣.

(٨) إشكالية الزمان في الفلسفة والعلم، يمنى طريف الخولي، مجلة ألف، ع٩، ١٩٨٩: ١٧.

(٩) مائدة أفلاطون كلام في الحب منقول عن الحكيم اليوناني: ٦٦.

(١٠) الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم، حسام الدين الآلوسي: ١٤٢.

(١١) مائدة أفلاطون كلام في الحب منقول عن الحكيم اليوناني: ١١٨.

(*) الرواقيون: مدرسة مرت بثلاث مراحل: مرحلة الرواقية القديمة ومرحلة الرواقية الوسطى ومرحلة الرواقية اللاتينية. ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرقلس: ١٧٢.

(١٢) الموت في الفكر الغربي: ٦٧.

(١٣) ينظر: الانهمام بالذات، ميشل فوكو: ٣٤.

(١٤) ينظر: انتصار الزمن، دراسة في أساليب معالجة الماضي في الفكر الاحيائي، د. محمد عبد الحسين الدعمي: ٩.

*الطلل :ما شخص وقيل من اثار الديار والرسم ما كان لاصقا بالأرض وقيل كل شيء شخصه ، وجمع ذلك أطلال وطلول، ينظر : لسان العرب :١٩٢/٨.

(١) طبقات فحول الشعراء :٥٥.

(١٦) ينظر: شعرية المقدمة الطللية عند عيسى لحيح، كراد موسى، رسالة ماجستير، جامعة الحاج خضر، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٢: ٢٢.

(١٧) ينظر: الآخر علاقة في شعر مجنون ليلى: ٩٠-٩٩.

(١٨) ينظر: مظاهر النوستالجيا في شعر أمرئ القيس، صديقة جعفري نزاد، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع٣٨، ٢٠١٨: ٢٦٣-٢٧٠.

(١٩) ديوان الأبيوردي: ١٧١/١-١٧٢.

*نحل فلاناً المرض: ارق جسمه، ينظر: لسان العرب ،مادة نحل :٧٣/١٤-٧٥.

(٢٠) ينظر: طبقات فحول الشعراء: ٥٥.

(٢١) ديوان الأبيوردي: ٥٨١/١.

(٢٢) ديوان الأبيوردي: ٢٧٨/٢.

(٢٣) ديوان الأبيوردي: ١٣٤/١.

(٢٤) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، عبد الرحمن البرقوقي: ٢١٦.

(٢٥) ديوان الأبيوردي: ١١٦/١-١١٧.

(٢٦) ديوان الأبيوردي: ٩٧/٢.

(*) تدور أحداث المثل حول رجل يدعى "ضبة بن نزار" وكان لديه ولدان (سعد وسعيد)، في يوم من الأيام خرج الأب مع أبنائه للرعي وفجأة تفرقت الإبل، فأمر أولاده بالبحث عنها، فوجدها سعد وأعادها إلى أبيه، وأما سعيد فوجدها عند "الحارث بن كعب"، إلا أن الحارث قام بقتل سعيد وأخذ منه بردان، وفي إحدى الأيام التقى الأب بالحارث ورأى بردي أبنه فعلم أن الحارث قتله فقام الأب بقتل الحارث. ينظر على الموقع الالكتروني: http://www.methaal.com.

(٢٧) ديوان الأبيوردي: ٨٣/٢-٨٤.

- كوفن: بليدة صغيرة بخراسان ، منها ابو المظفر الأبيوردي الاديب ، ينظر: معجم البلدان :٤٩٠/٤
- الناجية :الناقة السريعة ، ينظر: لسان العرب : ٥/١٤.

(٢٨) ديوان الأبيوردي: ٢٠/٢.

*بغداد: في معجم البلدان بغداد بالدال غير المعجمة افصح من الذال المعجمة، وبغداد في جميع اللغات تذكر وتؤنث، ينظر :معجم البلدان :٥٤١/١.

*النسوع: جمع نسع وهو سير تنشد به الرحال ، ينظر: لسان العرب :١٢٤/١٤.

(٢٩) ديوان الأبيوردي: ٢٣٣/١.

(٣٠) م.ن: ٢/٢٩٥. *السبج : الخرز الاسود ، ينظر: لسان العرب:٦/١٤٢.
(٣١) شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني، رشدي علي حسن: ٨٣.
(٣٢) ديوان الأبيوردي: ٢/٢٩١.
(٣٣) ينظر: في سيمياء الشعر القديم، محمد مفتاح: ٦٢.
(٣٤) ينظر: تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، شوقي ضيف: ٢٤٩.
(٣٥) ينظر: مظاهر النوستالجيا في شعر أمرئ القيس: ٢٦٣.
(٣٦) الاغتراب في الشعر العراقي، محمد جعفر راضي: ٥٢.
(٣٧) ديوان الأبيوردي: ٢/٥٤.
(٣٨) ديوان الابيوردي : ٢/١٧٥.
(٣٩) م.ن: ١/٦٣٠-٦٣١.
(٤٠) ديوان مجنون ليلى، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج: ٢٣٦.
(٤١) ديوان الأبيوردي: ١/٢٨٦-٢٨٧.
(٤٢) ديوان الأبيوردي: ١/٤٠٧-٤٠٩.
(٤٣) ينظر: الشيب في شعر المتنبي بين القبول والرفض، د. يسرى إسماعيل إبراهيم، مجلة التربية والعلم، مج ١٣، العدد ٣، ٢٠٠٦: ١٩٥.
(٤٤) ينظر: الزمن في الأدب، هانزمير هوف: ٥٧.
(٤٥) ديوان الأبيوردي: ٢/١١٢.
(٤٦) ديوان الأبيوردي: ٢/٢٢٨.
(٤٧) م.ن: ١/٦٢٠-٦٢١.
(٤٨) ديوان الأبيوردي: ٢/٢٠٩.
(٤٩) م.ن: ١/٦٢٠-٦٢١.
(٥٠) ديوان الأبيوردي: ٢/٣٤.
(٥١) م.ن: ١/٣٤٠.

المصادر والمراجع

-الآخر علاقة في شعر مجنون ليلى، رسل صالح مصلح، رسالة ماجستير، إشراف د.يسرى اسماعيل ابراهيم ، جامعة الموصل، كلية التربية بنات، ٢٠١٨م.
-إشكالية الزمان في الفلسفة والعلم، يمنى طريف الخولي، مجلة ألف، ع٩، ١٩٨٩م.
-الاغتراب في الشعر العراقي، د. محمد جعفر راضي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩م.
-انتصار الزمن، دراسة في أساليب معالجة الماضي في الفكر الإحيائي، محمد عبد الحسين الدعمي، آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.
-الانهمام بالذات، ميشل فوكو، ترجمة: جورج أبو صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، (د.ت).

-تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)،د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ،ط١١، ١٩٦٠م.
-تاريخ الفكر الفلسفي: أرسطو المدارس المتأخرة، محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية ،ط٣ ، ١٩٧٢م.
-تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس (٥٨٥ق.م) إلى أفلوطين (٢٧٠ق.م) وبرقلس (٤٨٥ق.م)، ماجد فخري ، دار العلم للملايين، المؤسسة الثقافية للنشر، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩١م.
-جدلية الحياة والموت نصوص ومقاربات، حيدر الجراح، مجلة النبأ، ع٣٥، ١٤٢٠هـ.
-ديوان الابيوردي أبي المظفر محمد بن إسحق ،تحقيق : د. عمر الاسعد ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ،١٩٨٧م.
-ديوان مجنون ليلى، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، (د.ت).
-الزمن في الأدب، هانز ميرهوف، ترجمة: أسعد مرزوق، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، ١٩٧٢م.
-شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، تحقيق : عبد الرحمن البرقوقي، دار الاندلس ،بيروت،١٩٨٠م
-شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني، رشدي علي حسن، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، (د.ط)، ١٩٨٨م.
-شعرية المقدمة الطللية عند عيسى لحيح كراد موسى، رسالة ماجستير، اشراف د. حجيج معمر ، جامعة الحاج خضر، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٢م.
-الشيب في شعر المتنبي بين القبول والرفض، د. يسرى إسماعيل إبراهيم، مجلة التربية والعلم، مج١٣، ع٣، ٢٠٠٦م.
-طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود شاكر، المؤسسة السعودية للطباعة والنشر، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٠م.
-في سيمياء الشعر القديم دراسة نظرية وتطبيقية، د. محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب ،ط١، ١٩٨٢م.
-لسان العرب، الإمام العلامة ابن منظور، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط٣، ١٩٩٩م.
-مائدة أفلاطون كلام في الحب منقول عن الحكيم اليوناني محمد لطفي جمعة، مطبعة التأليف، مصر، (د.ت).
-مظاهر النوستالجيا في شعر امرئ القيس، صديقة جعفر نزاد، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية جامعة بابل، ع٣٨، ٢٠١٨م.
-معجم البلدان، الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي، دار صادر بيروت، (د.ط)، ١٩٧٧م.
-ملحمة كلكامش، ترجمة: طاهر باقر، مطابع الجمهورية، بغداد، ط٢، ١٩٧١م.
-الموت في الفكر الغربي، جاك شورون، ترجمة: كامل يوسف حسين، مطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٤م.
-موقف الشعراء في عصر ماقبل الإسلام تجاه الزمن بين التحدي والاستسلام ،حسن صالح ، اطروحة دكتوراه

، اشراف ،ا.د.عمر محمد الطالب ،جامعة الموصل ،كلية التربية ٢٠٠٥م.

References

−The Other as a Relation in the Poetry of Majnun Layla, Rusul Saleh Muslih, Master's Thesis, Supervised by Dr. Yusra Ismail Ibrahim, University of Mosul, College of Education for Women, 2018.
−The Problem of Time in Philosophy and Science, Yumna Tarif Al-Khuli, Alef Journal, No. 9, 1989.
−Alienation in Iraqi Poetry, Dr. Muhammad Jaafar Radi, Arab Writers Union, Damascus, 1999.
−The Triumph of Time: A Study of the Methods of Addressing the Past in Revivalist Thought, Muhammad Abdul-Husayn Al-Daami, Arab Horizons, Baghdad, 1985.
−The Care of the Self, Michel Foucault, Translated by George Abu Saleh, National Development Center, Beirut, (n.d.).
−History of Arabic Literature (Pre-Islamic Era), Dr. Shawqi Dayf, Dar Al-Ma'arif, Cairo, 11th ed., 1960.
−History of Philosophical Thought: Aristotle and the Later Schools, Muhammad Ali Abu Rayyan, University Knowledge House, Alexandria, 3rd ed., 1972.
−History of Greek Philosophy from Thales (585 B.C.) to Plotinus (270 A.D.) and Proclus (485 A.D.), Majid Fakhri, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut-Lebanon, 1st ed., 1991.
−The Dialectic of Life and Death: Texts and Approaches, Haidar Al-Jarrah, Al-Naba Journal, No. 35, 1420 AH.
−Diwan Al-Abiwardi, Abu Al-Muzaffar Muhammad bin Ishaq, Edited by Dr. Omar Al-As'ad, Al-Risalah Foundation, Beirut, 2nd ed., 1987.
−Diwan Majnun Layla, Edited by Abd Al-Sattar Ahmad Faraj, Dar Misr Printing, (n.d.).
−Time in Literature, Hans Meyerhoff, Translated by As'ad Marzouq, Franklin Publishing House, Cairo, New York, 1972.
−Explanation of the Diwan of Hassan bin Thabit Al-Ansari, Edited by Abdul-Rahman Al-Barquqi, Dar Al-Andalus, Beirut, 1980.
−Nature Poetry in the Second Abbasid Era, Rushdi Ali Hassan, Al-Risalah Foundation, Beirut-Lebanon, (n.d.), 1988.
−The Poetic Prologue (Nasīb) in Arabic Poetry: A Stylistic Study, Issa Luhayh Karad Musa, Master's Thesis, Supervised by Dr. Hajij Muammar, University of Haj Khedr, Faculty of Arts and Languages, 2012.
−Gray Hair in Al-Mutanabbi's Poetry between Acceptance and Rejection, Dr. Yusra Ismail Ibrahim, Journal of Education and Science, Vol. 13, No. 3, 2006.
−Tabaqat Fuhul Al-Shu'ara (Classes of Poets), Muhammad bin Salam Al-Jumahi, Edited by Mahmoud Shakir, Saudi Printing and Publishing Institution, Al-Madani Press, Cairo, (n.d.), 1990.
−In the Semiotics of Ancient Arabic Poetry: Theoretical and Applied Study, Dr. Muhammad Miftah, Dar Al-Thaqafa, Casablanca, Morocco, 1st ed., 1982.
−Lisan Al-Arab, Imam Ibn Manzur, Revised by Amin Muhammad Abdul-Wahhab and Muhammad Al-Sadiq Al-Abidi, Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi Printing and Publishing, Beirut-Lebanon, 3rd ed., 1999.
−Plato's Banquet: A Dialogue on Love Translated from the Greek Philosopher, Muhammad Lutfi Jum'a, Al-Ta'lif Press, Egypt, (n.d.).
−Manifestations of Nostalgia in the Poetry of Imru' Al-Qais, Sadiqa Jaafar Nazzad, Journal of the College of Basic Education for Educational and Human Sciences, University of Babylon, No. 38, 2018.

−Mu'jam Al-Buldan (Dictionary of Countries), Imam Shihab Al-Din Abu Abdullah Yaqut Al-Hamawi, Dar Sader, Beirut, (n.d.), 1977.
−The Epic of Gilgamesh, Translated by Taher Baqir, Republic Press, Baghdad, 2nd ed., 1971.
−Death in Western Thought, Jacques Choron, Translated by Kamil Yousif Hussein, Al-Risalah Press, Kuwait, 1984.
−The Attitude of Pre-Islamic Poets toward Time: Between Defiance and Submission, Hassan Saleh, Ph.D. Dissertation, Supervised by Prof. Dr. Omar Muhammad Al-Talib, University of Mosul, College of Education, 2005.

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ١